الاثنينية

١١

حفل تكريم

الأستاذ أحمد العربي

في ١٤٠٣/٠٦/٢٨ هـ

١٩٨٣/٠٤/١١ م

الأستاذ السيد أحمد العربـي

المحتوى

١ - لمحات من حياة المحتفى به.
٢ - تلاوة آيات بينات من القرآن الكريم رتلها الطالب محمد عبد الله صالح.
٣ - أنشودة دينية أنشدها الطالب خالد عبد الله صالح.
٤ - كلمة مقدم الأمسية الأستاذ حسين نجار.
٥ - كلمة المحتفي الأستاذ عبد المقصود خوجه.
٦ - كلمة الأستاذ محمد حسين زيدان.
٧ - كلمة المحتفى به السيد أحمد العربي، وقد ألقى خلال كلمته عدداً من القصائد الشعرية التي نظمها.
٨ - كلمة الأستاذ عثمان حافظ وقد ألقاها الأستاذ حسين نجار.
٩ - كلمة الأستاذ هاشم زواوي.
١٠- قصيدة من نظم المحتفى به ألقاها الأستاذ حسين نجار.
١١- كلمة الأستاذ طاهر زمخشري.
١٢- كلمة تعقيبية لمعالي الشيخ عبد الله بلخير.
١٣- كلمة الختام للأستاذ حسين نجار.

●●●

لمحات مِن حَيَاة المحتفَى به

السيد أحمد العربي

- ولد بالمدينة المنورة.
- تخرج من دار العلوم العليا بمصر.
- عمل بعد عودته إلى المملكة مدرساً بالمعهد العلمي السعودي بمكة.
- قام عام ١٣٥٢هـ برحلة زار فيها مصر وجزر الهند الشرقية والملايو واستغرقت عاماً كاملاً.
- بعد عودته من رحلته عمل مدرساً بمدرسة العلوم الشرعية بالمدينة المنورة.
- في عام ١٣٥٤هـ عين مديراً لمدرسة الأبناء بالرياض.
- ثم عين مديراً لمدرسة تحضير البعثات بمكة.
- ثم عين مديراً عاماً للأوقاف.
- أخيراً عين عضواً بمجلس الشورى وما زال.

***

وقائع من حفل التكريم

((كلمة الإفتتاح))

افتتح الأمسية الأستاذ حسين نجار بقوله:

- بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله عليه أفضل الصلاة والسلام.

- أيها الأفاضل: هي البداية واستهلالة خير وبركة نبدؤها بخير ما يبدأ به تلاوة عطرة من كتاب الله الكريم يتلوها الطالب محمد عبد الله صالح أحد طلبة مدرسة الفلاح بجدة.

ثم قرأ الطالب محمد عبد الله صالح ثماني آيات من سورة الأنفال بعد الاستعاذة والبسملة من قوله تعالى: ﴿يسألونك عن الأنفال﴾... إلى قوله تعالى: ﴿ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون﴾ صدق الله العظيم.

ثم أنشد أخوه الأصغر خالد عبد الله صالح أنشودة دينية هي:

في لـــيلة تتـــزيا بالـــنور والإشـــراق
جـــبريل جـــاء النبـــيا يدعـــوه فـــوق الـــبراق

* * *

هـــو الـــنبي الأمـــين لـــه الصـــعاب تهـــون
فقولـــه قـــول صـــدق وفعلـــه مأمـــون

* * *

أجـــب نـــداء الســـماء يـــا ســـيد الأنبـــياء
يـــرعاك رب الـــبرايا في رحلـــة الإســـراء

* * *

وحـــين تم الوصـــول للقـــدس صـــلى الرســـول
وكـــان خـــير رفـــيق للمصـــطفى جـــبريل

* * *

صـــلوا علـــى المخـــتار يحـــــاط بالأنـــــوار
عـــند الـــذي أرتجـــيه فـــد فـــاز بالأســـرار

***

فـــد عـــاد يحمـــل فرضـــاً خمســـاً مـــن الصـــلوات
ويمـــلأ الأرض فيضـــاً خـــيراً مـــن الـــبركات

***

وهـــذا فـــوق الـــبراق مـــن فـــوق ســـبع طـــباق
يدعـــو لمـــن صـــدقوه بالفـــوز يـــوم التلاقـــي

***

((كلمة الأستاذ حسين نجار))

بعد أن أكمل الطالب خالد عبد الله صالح إنشاده، ألقى الأستاذ حسين نجار مقدم فقرات الأمسية، الكلمة التالية:

ليلتكم أيها الأفاضل هي ليلة أنس وبهجة، ولقاء بين الأحبة، ضيفنا وأنيسنا هو الأستاذ الشيخ الأديب أحمد بن الشريف محمد العربي العلوي. ولد بالمدينة المنورة، وتلقّى علومه الابتدائية في المدارس الأميرية بالمدينة. وفي أواخر عصر حكومة الحسين سافر إلى مصر حيث انتظم في سلك الأزهر، وحاز شهادتي الابتدائية والثانوية. ولما أوفدت حكومة جلالة الملك عبد العزيز آل سعود المعظم البعثة العلمية إلى مصر سنة ١٣٤٦هـ انضم إليها وتحول إلى مدرسة دار العلوم العليا. فنال شهادتها العالية سنة ١٣٥٠هـ. وعلى أثرها رجع إلى مكة فعين أستاذاً في المعهد العلمي السعودي. وفي سنة ١٣٥٢هـ قام برحلة إلى مصر والجزائر الشرقية وبلاد الملايو. وعاد إلى مكة في شعبان سنة ١٣٥٣هـ. ومنها سافر إلى المدينة مسقط رأسه لزيارة عائلته. فبقي هناك حتى ربيع الأول عام ١٣٥٤هـ. ثم عين مديراً لمدرسة أمراء الأسرة المالكة بالرياض. وفي سنة ١٣٥٦هـ عين مديراً لمدرسة تحضير البعثات في مكة المكرمة. وفي سنة ١٣٧٢هـ عين عضواً لمجلس الشورى. ثم مديراً عاماً للأوقاف. وقضى بها ٦ سنوات. عاد بعدها عضواً في مجلس الشورى حتى يومنا هذا. هذه أيها السادة الأفاضل إمامة عجلى بحياة أديبنا وأستاذنا أحمد العربي أمد الله في عمره. وفيما سيرويه لنا عن حياته المليئة بالعمل والجهد والنشاط، ما يروي شوقنا لمعرفة الكثير من خدماته الخيرة في ميدان العلم والأدب. وهو واسطة العقد بيننا. والكلمة الآن وكما تعودنا للمحتفي الأستاذ عبد المقصود خوجه:

((كلمة المحتفي الأستاذ عبد المقصود خوجه))

عندما قدم الأستاذ حسين نجار المضيف الأستاذ عبد المقصود خوجه للكلام، ارتجل الكلمة التالية:

- بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

- من دواعي السرور والغبطة أن أتشرف هذه الأمسية بتشريف المربي الجليل الشاعر الأديب الفاضل الأستاذ القدير الكبير السيد أحمد العربي. أشكر لأستاذنا ورائدنا استجابته الكريمة للاحتفاء به، كما أشكر لجمعكم المشاركة في هذا الاحتفاء فلها الأثر الطيب في النفوس ولها تقديرها فلكم مني جزيل الشكر.

- عملاقنا الكبير أستاذ أجيال وهو الآن عضو في مجلس الشورى، وله مشوار طويل مع العلم وطلاّبه، بدأه في أول بعثة بعثتها الحكومة إلى مصر حيث تخرج بعد دراسته العالية منها، فبدأ هذا المشوار وتابع السير فيه، في حين أن كثيراً من أمثاله يعودون من نصف الدرب. كان مشواره في خير مهنة وأكرمها ألا وهي التدريس إلا أنه أضاء الطريق وأدى الرسالة حتى النهاية، ووفّى الأمانة فكان خير مثال يقتدى به ويستحق منا جميعاً كل تقدير بالتكريم، وما نقدمه هذه الليلة احتفاء به هو قليل من كثير له على أجيال قامت على بعضها نهضة هذا البلد ورقيه. وقبل أن أترك الكلمة له ليحدثنا عن مشواره الطويل عن العلم وطلابه، وعن جانب من ذكرياته، فقد طلب أستاذنا الكبير الأستاذ محمد حسين زيدان أن تكون الكلمة له أولاً فاستميح الأستاذ الفاضل السيد أحمد العربي عذراً في ذلك. وأحب قبل أن أختتم كلمتي أن أشير إلى أن ضيف يوم الاثنين القادم هو الأستاذ الكبير الأديب الأستاذ عبد العزيز الرفاعي، وإن لمشاركتكم الأثر الكبير فأهلاً وسهلاً ومرحباً بكم جميعاً، مع أطيب التمنيات، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

((كلمة الأستاذ محمد حسين زيدان))

ثم يلقي الأستاذ محمد حسين زيدان كلمة ضافية يفتتحها قائلاً:

- بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين.

- تركت كلمة المظهر للأستاذ حسين نجار وللمحتفي عبد المقصود خوجه ولا بد لي أن أقول كلمة المخبر. كلمة المخبر هي التي تعطي جوانب النشأة جوانب الكرامة، جوانب الخلق للسيد

الشريف أحمد العربي. لم أعرفه طفلاً وإنما عرفته فتى تزاملنا في الدراسة، فقد كان ينتظم في فصل يتقدمنا وهو بحمد الله أكبر مني بعدد من السنوات، وربما تقل عن السنتين. السيد أحمد العربي مظهره غير مخبره، فمخبره يحمل هموماً علوية وهموماً علوية. فالهموم العلوية جعلته يتفوق بالتعلم، جعلته يتفوق بالعطاء، والهموم العلوية جعلته لا يتجافى مع نسبه العلوي. أنتم لا تعرفون قرباه للأسرة المالكة في المغرب أسرة الحسن الثاني. فأنا أعرف ذلك عندما جاء السلطان عبد الحفيظ إلى المدينة المنورة بعد أن استقال عن العرش كان رفيقاً لمولاي العربي، فإذا ما خاطب مولاي العربي السلطان عبد الحفيظ قال له: مولاي عبد الحفيظ، وإذا خاطبه السلطان عبد الحفيظ قال له: مولاي العربي. كل منهما يلقب أخاه بالمولى، لأنهما ذوا نسب واحد، هو عياشي، جذوره تنتمي إلى الحسن المثنى بن الحسن بن علي بن أبي طالب الذي مات وقبره لا يزال في ينبع النخل. جده بعد الحسن المثنى عبد الله الطاهر. الذي خلف أربعة من الأبناء كل منهم كان طعام السيف. فالنفس الزكية الذي قتله المنصور بعد أن بايعه. فالمنصور في المدينة قد بايع النفس الزكية يوم كان إبراهيم الإمام في الحميمة. وإبراهيم قد ثار في الكوفة وكاد ينتصر فقتله المنصور، ويحيى بن عبد الله سجنه الرشيد في مخزن من الملح لعل نكبة البرامكة كانت بسببه. وإدريس قد رحل إلى المغرب فتزوج البربرية وجاء بابنه إدريس. وإدريس ليس جداً للسيد أحمد العربي، فأنا أحسب أن جده إبراهيم، هذا النسب العالي حافظ عليه السيد أحمد العربي كل المحافظة. لا أعرفه إلا أنه نظيف كل النظافة في عرضه وفي كرامته، وله منة علي، فحينما هجاني بعضهم:

أيـــا زيـــدان عيـــناك أزعجـــتني مـــن الأقـــذار والنظـــر الشـــئيم

- فقد كنت أرمد يومها. كان السيد أحمد العربي أحد ثلاثة دافعوا عني بالشعر، هم: السيد أحمد العربي، وأمين الشنقيطي، سفير الأردن السابق، أبوه الخضر بن مبابة الجكني، العلاّمة الكبير، والدكتور حمزة الشلبي، ابن الشيخ/ عبد القادر الشلبي، أحفظ لهم ذلك كما أحفظ لهذا الشعر أنه أول من جعلني أشهر، فقد دفع محمد سعيد أبو ناصف ريالاً مجيدياً لمن يأتيه بهذه القصيدة، فقابلته في دار الضيافة وقلت له: أتريد هذه القصيدة؟ خذها. قال: ما معي الريال. قلت: أهديها لك لتعطيني إياه، وفعلت.

- السيد أحمد العربي لا أريد أن أذكر أستاذيته في المعهد، ولا أريد أن أذكر طلبه للعلم، وإنما أذكر شيئاً واحداً هو طلبه بالأزهر. وانتسابه لدار العلوم، كأنما أثر الأزهر ودار العلوم واحد.

- لكن أزعم وأنا صادق في الزعم أن تأثير دار العلوم بعلي الجارم وأمثاله كان أكبر من تأثير الأزهر. ولا أريد أن أتجنى على عمر أبي ريشة، فأبو ريشة خير من يلقي الشعر، وأحمد العربي خير من ألقى الشعر عندنا، ستسمعون نغمات كأنها نغمات عمر أبي ريشة، عندما تسمعون أحمد العربي. لا أكثر وأنا تعِب جداً، ولولا معزة أحمد العربي لما حضرت وقد كتبت عنه في كتابي الذي صدر في الأشياخ، كما كتبت عن بعض العلماء، فهو يستحق التكريم لأنه من العلماء.

- ولكن دعوني أذكر شيئاً واحداً: بالأمس كان السيد عثمان حافظ هنا وهو صديقه الحميم، فما لي لا أراه الآن؟ لعله مشغول بمرضه، أو لعله اعتذر. أنا لم أذكر ذلك لألوم عثمان، وإنما لأوضح المعذرة، ولأوضح أنه لن يتأخر عن السيد أحمد العربي. ولكن لا أعذر تلامذته في تحضير البعثات أين هم الآن؟ أين الوفاء؟ والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

((كلمة المحتفى به السيد أحمد العربي))

ثم يتحدث السيد أحمد العربي حديثاً مستفيضاً يشرح جانباً كبيراً من ذكرياته فيقول:

- السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، شكراً لكم أيها السادة الذين تفضلتم بتلبية هذه الدعوة، وشكراً أولاً وقبل ذلك للسيد عبد المقصود الذي تكرم بدعوتي ودعوتكم. وجشمكم ما جشمكم من تعب الحضور. وشكراً للأستاذ الزيدان الذي أفاض علي من حسن ظنه ومن شمائله ونبله ما أعجز عن شكره عليه. وفي الحقيقة أنا الآن في هذه السن لن أستطيع أن آتي بجديد، ولكن كما يقول المثل العامي: التاجر حين يفلس يرجع لحساباته القديمة. فأنا كنت ضيف حفلة سابقة تكريمية أقيمت لي في مكة من بعض الإخوان والأبناء والأعزاء. وقد سبق لي إلقاء عدة قصائد في حفلات مماثلة لكني الآن أحمل تلك الأبيات التي أنشدتها في الحفلة السابقة وأنا على استعداد أن أنشدها أمامكم إذا سمحتم لي بذلك، وعسى أن تكون مقبولة لديكم إن شاء الله. كان بودي أن أتكلم بشيء من التفصيل عن مسيرتي التعليمية، ولكن النبذة اللطيفة التي أبرزها الأستاذ النجار بارك الله فيه تغني عن أن أكرر ما قاله، ولا أزيد ولا أتوسع فيه، فأنا أكتفي الآن بتحيتكم، ولا آخذ الكثير من وقتكم، وأنشدكم بعض الشعر. وأنا آسف أن أقول أنني لن أستطيع أن أحقق ظن الأستاذ الزيدان بي فعهده بي عهد شباب، والآن عسى أن يكون إلقائي مقبولاً بالجملة لا كما ظنه الأستاذ زيدان بارك الله فيه، فقد أفاض علي من الثناء ما يتجاوز قدري وما أعجز عن أدائه حق شكره. وإليكم الأبيات التي أنشدتها للإخوة الكرام الذين كرموني قبلكم، وهي تقول:

يـــا جـــيرة الحـــرم المغـــبوط جيرتـــه ... إني ليشـــكركم قلـــبي ووجـــداني
حملـــتموني مـــن تكـــريمكم منـــناً ... تـــنم عـــن خلـــق بالنـــبل ريـــان
لم آتِ أمـــراً جلـــيلاً أســـتحق بـــه ... مـــا نلـــته مـــن حفـــاوات وشـــكران
ومـــا بـــذلت ســـوى جهـــد المقـــل يـــداً ... لمـــوطني ولأبنائـــي وإخـــواني
فصـــادف الـــبذر روضـــاً طيـــباً فـــنما ... وطـــاب مـــنه الجـــنى في ظلـــه الحـــاني
ولم أقـــم بســـوى فـــرض أديـــن بـــه ... لمـــوطن حـــبه عهـــدي وإيمـــاني

أرض الرسـالة والهـدي الـذي غمـرت أنـــواره الكـــون في قـــاص وفي دان
ولـو بـذلت لـه روحـي ومـا ملكت يـــداي لم أوفـــه مـــا كـــان أولاني
يـا جـيرة الحـرمين الأقدسـين لكـم حـــبي وخـــالص تقديـــري وعـــرفاني

- هذه أبيات من قصيدة طويلة. وشكراً لكم.

فيعلق الأستاذ الزيدان قائلاً:

- وأين قصيدتك التي تقول فيها:

هـــذا حـــراء ســـائلوه يحِـــبكُم وكأنـــه ســـفر مـــن الأســـفار

الرد:

- سآتي بمختارات منها، فهي قصيدة طويلة.

- لكن نحب أن نقول أن الأستاذ حسين نجار، والأستاذ الزيدان قد أراحاني من الكلام الطويل الذي لا لزوم له. أما الحديث عن علاقتي مع الشعر فأقول إنها بدأت منذ عهد الصبا، إلا أني لم أحتفظ بشيء مما لهوت به قبل رحيلي إلى القاهرة، على أن ما نظمته بعد ذلك لا أزعم أنه يرتقي إلى مرتبة الشعر الجيد، غير أن الذي أغراني بالاحتفاظ ببعضه أولاً أنه يسجل صوراً متواضعة لما كانت تجيش به نفسي من مشاعر نحو أمتي وعقيدتي ووطني. ثانياً: حسن ظن بعض الإخوة والأبناء الكرام بما اطلعوا عليه من ذلك وحثهم إياي على الاحتفاظ به. ولذا فإني أشركهم معي في تحمل مسؤولية ما قد يشعر به بعض المستمعين الكرام من ضيق بسماعه.

- مما قلته في مصر بمناسبة ذكرى جلوس الملك عبد العزيز - يرحمه الله - عام ١٣٤٩هـ، عندما أقامت السفارة السعودية حفلاً كبيراً وقد دعيت مع إخواني طلاب البعثات. فألقيت قصيدة أختار منها الأبيات الآتية:

عـيد الجلـوس ألا حيـيت مـن عـيد لأنـــت أحـــرى بتكـــريم وتمجـــيدِ
فأنـت في العـرب يـوم لا مثـيل لـه وأنـت غـرة مـا في الكـون مـن عيد
يـا أيهـا المهـرجان الفخـم رونقـه لأنت في العين أبهـى مـن سنـى الغيـدِ
علـيك بهجـة حسـن غـير مفـتعل وروعـــة وجـــلالٌ غـــير محـــدودِ
وإن يـــوماً ســـناءُ الملـــك جللـــه يـــوم جديـــر بتكـــريم وتخلـــيدِ
يـوم تمجـد فـيه العـرب عاهلـها عـبد العزيـز سـليل السـادة الصـيدِ
العاهـل الفـذ مـن أمسـت مآثـره مـــلء الممالـــك والأمصـــار والبـــيدِ

ذاك الملـيك الـذي مـذ لاح كوكـبه للعـرب ألقـت إلـيه بالمقالـيدِ
فقـام بالأمـر فـيها جـد مقـتدر يسوسـها بـنظام جـد محمـودِ
وقـاد بالحـزم والتوفـيق نهضـتها فلـم تـزل ولم تجمـح بمقصـودِ
سـعى لضـم شـتات العـرب فالـتأمت بـه وفـازت بتألـيفٍ وتوحـيدِ
أقـال عثـرتها مـن فـرقة عصـفت بهـا وبـددتها شـر تـبديدِ
ومـا ونى قـطّ في إسـعاد أمـته وجلـب كـل جديـد غـير مـنقودِ
فكـم لـه مـن يـد جلـت صـنائعها عـن البـيان وفاقـت كـل تمجـيدِ
تلكُـم معاهـده بـالعلم زاهـرة إلى مصـانع شـيدت أي تشـييدِ
وتلـك بعـثاته في كـل منـتجع لهـا مـناهل تثقـيفٍ وتسـديدِ
تفـيأت عطفـه الحـاني فكـانَ لهـا مـن حدبـه خـير تشـجيع وتأيـيدِ

- أما قصيدة الشعر التي كنت أتشوق فيها إلى المدينة المنورة وأنا أدرس في مصر، وكنت متأثراً بقصيدة البحتري السينية الشهيرة:

صـنت نفسـي عمـا يـدنس نفسـي وتـرفّعت عـن جـدى كـل جِـبس

- وبقصيدة شوقي:

اخـتلاف الـنهار والليـل ينسـي اذكـرا لي الصـبا وأيـام أنسـي

- على أني لست أزعم أني استطعت أن أرتقي إلى مستوى أي من القصيدتين. وحسبي أن أقتفي أثرهما في محاولة للتعبير عما جاش في صدري من مشاعر. أرجو أن أكون قد وفقت إلى إبراز صورة مقبولة منها. وفيما يلي أبيات القصيدة أقول فيها:

طـال عهـد الـنوى وعـز التأسـي عـن بـلاد غـرامها مـلء نفسـي
وربـوع فديـتها بفـؤادي عشـت فـيها عهـد المُـنى دون وكـس
وريـاض كأنهـا مـن رواءٍ وازدهـار تـزهو بمـوكب عـرس
وكـأن الـورود ثـوب عـروس عسـجدي مـنمق بـدِمقْس
وتخـالُ النخـيلَ والشـمس تكسـوه بأضـوائها مـنارة فـس
وتـرى الطـل يستسـر حديـثاً أذن الزهـر بـين همـس ولمـس
ثم يغشـى ذاك الحـديث هـزار دأبـه الشـدو حـين يضـحي ويمسـي
وتحيـي الصـبا الغصـون فتخـتالُ وتـبدو كمـن يحيـي بـرأس
وإذا مـا الـتفت نحـو الـروابي شمـت سـرباً مـن الظـبا غـير نكـس

لابســـات مـــن العفـــاف مـــلاء يحســـر الطـــرف دونهـــن ويخســـي
يـــا ربـــوعاً بالجـــزع جـــزع قـــباء والعـــوالي قـــربانكن بنفســـي
كـــم لـــنا فـــيك ذكـــريات غـــوالٍ لم يشـــب ســـعدهن قـــط بـــنحس
مـــع رفـــاق غـــر ســـراةٍ تســـاموا لـــذُرى يعـــرب وســـادات فـــرس
نتســـاقى مـــن البـــيان رحـــيقاً أدبـــاً نـــادراً وطـــرفة طرســـي
في حمـــى طيـــبة المفـــداة جادتهـــا الغـــوادي بكـــل غـــيثٍ مِلْـــس
مهـــبط الوحـــي دار أكـــرم خلْـــق الله خـــير الأنـــام مـــن كـــل جـــنس
هـــي دار الإيمـــان والســـادة الأنصـــار مـــن خـــزرج كـــرامٍ وأوس
وإلـــيها آوى المهاجـــرة الأبطـــال مـــن هاشـــمٍ ومـــن عـــبد شمـــس
حولـــوا مـــن ربـــوعها شـــعلة الـــدين فدكـــوا عـــروش روم وفُـــرس
هـــي داري ولســـت أســـلو هـــواها مـــا حيـــيت وإنْ أوار برمســـي
كـــيف أســـلو وذاك شـــأن بـــلاد في رباهـــا نمـــا وأيـــنع غرســـي
زادهـــا الله عـــزةً وســـناءً وحماهـــا مـــن كـــل ضـــر وبـــأس

***

- وإذا كانت هذه القصيدة تعبر عن بعض مشاعري نحو طيبة الطيبة، فإن مشاعري نحو أم القرى لا تقل توهجاً بالحب والتقديس، لهذا البلد الأمين، الذي شرفه الله بالبيت المقدس، ومولد أفضل الرسل - عليه أفضل السلام وأزكى السلام - وبزوغ فجر الإسلام في ربوعها. ومهما أشدت بفضلها ونوهت بمنزلتها فلن أفي بحقها من الإشادة والتنويه. وأنا في موقفي هذا أجتزئ مقتطفات من القصيدة التي ألقيتها في الحفل الذي أقامه الشباب في منى في عام ١٣٥٥ تكريماً لأعلام وفود الحجيج أذكر منها ما يأتي وقد اختصرت منها كثيراً. قلت:

هـــذا الحجـــاز تأملـــوا صـــفحاته ســـفر الخلـــود ومعهـــد الآثـــار
في كـــل ســـطر مـــن ســـطور ســـجله عِبـــر تفـــيض بـــأروع الآثـــار
ومواقـــف لم يشـــهد الـــتاريخ مـــثل جلالهـــا في أمجـــد الأعصـــار
جـــثمت علـــى تلـــك الأبـــاطح والهضـــاب وأشـــرفت تـــرنو إلى الأقـــدار
ومضـــت تقـــص علـــى العصور حديثَها والقـــوم في لهـــوٍ وفي إدبـــار
ثبـــتت علـــى رغـــم الكـــوارث والخطـــوب تعـــيد ســـيرةَ مجـــدها المُـــنهار
وتهـــيب بـــالهمم الأبـــية أن تهـــب لـــبعث كـــنز تـــراثنا المـــتواري

هـــذا جِـــراءٌ ســـائلوه يجـــبكُم وكأنـــه ســـفر مـــن الأســـفار
واســـتلهموه مواقـــف الوحـــي الـــتي شـــع الهُـــدى مـــنها علـــى الأقطـــار
وســـلوه مـــاذا قـــد[1] أقـــل مـــن الـــبطولة والحِجـــى، أعظِـــم بـــه مـــن غـــار
أخلِـــق بغـــار حـــراء أن يزهـــى علـــى الإيـــوان والأهـــرام والآثـــار
كـــم بـــين صـــاحبه وبـــين بـــناتها مـــن فـــارق أربى علـــى الأقـــدار
شـــتان بـــين محـــرر الإنســـان والمســـتعبدين ســـلائل الأحـــرار
الله أكـــبر مـــا أجـــل صـــحائف الســـفر الحفـــي بســـيرة المختـــار
مـــا أروع الذكـــرى تطـــيف بـــنا هـــنا لمحمـــد ولصـــحبه الأبـــرار
في مـــثل ليلتـــنا وفي تلـــك المواقـــف مـــن مـــنى وحـــيال هـــذي الـــدار
وقـــف ابـــن عـــبد الله يملـــي عهـــده ويهـــيب بالنقـــباء بالأنصـــار
إن ينصـــروا ديـــن الإلـــه ويمنعـــوا أشـــياعه مـــن ســـطوة الكفـــار
مـــا كـــان أنـــبل موقـــف الأنصـــار مـــن كـــرمٍ وتضـــحية وحســـن جـــوار
لله قالـــتهم لقـــد زانـــوا بهـــا فـــرق الـــزمان وهـــام كـــل فخـــار
خـــذ يـــا رســـول الله مـــا أحبـــبت مـــن عهـــدٍ ومـــا أحبـــبت مـــن إيـــثار
ولنمنعـــنك بالـــنفوس وبالنفـــيس ونفـــتديك مصـــارع الأخطـــار
اللـــه أكـــبر يـــا لـــه مـــن موقـــف يوحـــي إلى الأحفـــاد خـــير شـــعار

- أكتفي بهذا القدر من هذه القصيدة وشكراً لكم.

- وهذه قصيدة حييت بها نسور الطيارين السعوديين، بل أول بعثة طيران كان لها صدى حسن، ونشرت بأم القرى في ١٨ محرم ١٣٥٥هـ، فأحببت أن أنقلكم إلى جوها عسى أن تخفف عنكم بعض ما تحملتموه من إلقائي، هذه القصيدة قلت فيها:

أهـــلاً بقادمـــة النســـور طلـــيعة الأمـــل النضـــير
الـــرافعين لـــواء مجـــد بلادهـــم فـــوق الأثـــير
المنتضـــين عـــزائماً أمضـــى مـــن الســـيف الطريـــر
أهـــلاً بمفخـــرة الحجـــاز ورمـــز ســـؤدده الخطـــير
إن الحجـــاز وكـــل مـــا ضـــم الحجـــاز بكـــم فخـــور

[1] كلمة "قد" لم تكن موجودة أصلاً وعدم وجودها يخل بالوزن، لذلك أضيفت حتى يستقيم وزن البيت.

هـ ـــو أيكُكُـ ـــم و علـ ـــى ربـ ـــاه تمـ ـــا جـ ـــناحكم الصـ ـــغير
ولكـ ـــم حـ ـــباكم عطفـ ـــه وحـ ـــنانه الجـ ـــم الغزيـ ـــر
وغـ ـــذاكم بلـ ـــبانه وبمائـ ـــه العـ ـــذب الـ ـــنمير
وأظلكـ ـــم بسـ ـــمائه وبجـ ـــوه الصـ ـــافي المـ ـــنير
أفـ ـــلا ترفـ ـــرف في ذراه الـ ـــيوم أعـ ـــلام السـ ـــرور؟
وهـ ـــو المهـ ـــاد و منـ ـــبت الأجـ ـــداد والـ ـــوطن الـ ـــوثير
وطـ ـــن أقلـ ـــت أرضـ ـــه خـ ـــير الخلائـ ـــق والعصـ ـــور
ومشـ ـــى علـ ـــى جنـ ـــباته جـ ـــبريل والـ ـــروح الكـ ـــبير
وتمخضـ ـــت أعطافـ ـــه عـ ـــن ذلـ ـــك الماضـ ـــي النضـ ـــير
أفـ ـــلا يحـ ـــن إلى الـ ـــنهوض ويسـ ـــتجيب إلى البشـ ـــير؟
هـ ـــذا الحجـ ـــاز الـ ـــيوم في طـ ـــرب وذاك صـ ـــدى الشـ ـــعور
خـ ـــرجت زرافـ ـــات بـ ـــنوه تمـ ـــوج في حلـ ـــل السـ ـــرور
يتسـ ـــابقون إلى الحماسـ ـــة والحفـ ـــاوة بالنسـ ـــور
يـ ـــا لـ ـــيت شـ ـــعري أي جـ ـــدوى للحفـ ـــاوة و الحـ ـــبور؟
ولهـ ـــذه الأصـ ـــوات تـ ـــذهب في الفضـ ـــاء و لا تحـ ـــور
إن لم نعـ ـــد الطائـ ـــرات تبـ ـــز أسـ ـــراب الطـ ـــيور
ونشـ ـــد أزر نسـ ـــورنا بالمـ ـــال والعضـ ـــد النصـ ـــير
أرأيـ ـــتم في الجـ ـــو طـ ـــيراً دون أجـ ـــنحة يطـ ـــير؟
أرأيـ ـــتم أمـ ـــراً بغـ ـــير المـ ـــال تم لـ ـــه الصـ ـــدور
المـ ـــال إكسـ ـــير الحـ ـــياة وعنصـ ـــر الفـ ـــوز الكـ ـــبير
بالجـ ـــد تكتسـ ـــب العلـ ـــى لا بالأمـ ـــاني والغـ ـــرور
لـ ـــو أن بالآمـ ـــال والأقـ ـــوال تـ ـــنقاد الأمـ ـــور
لم يلـ ـــف في الجُلـ ـــى لـ ـــنا نـ ـــد و لم يذكـ ـــر نظـ ـــير
فلقـ ـــد ملأنـ ـــا الـ ـــوهم آمـ ـــالاً تضـ ـــيق بهـ ـــا الصـ ـــدور
ولقـ ـــد ملأنـ ـــا الصـ ـــحف أقـ ـــوالاً تضـ ـــيق بهـ ـــا السـ ـــطور
ولقـ ـــد وقفـ ـــنا و الـ ـــزمان وكـ ـــل مـ ـــا فـ ـــيه يسـ ـــير

ولقـــد هجعـــنا والحـــياة وكـــل مـــا فـــيها يمـــور
ولقـــد بـــدأنا الـــيوم نشـــعر بالحـــياة وبالنشـــور
عجـــباً أنحـــن ســـلائل الأعـــراب معجـــزة العصـــور؟
عجـــباً أنحـــن بـــنو أســـاتذة الحضـــارات الصـــدور؟
أنكـــون أول مبدعـــي الطـــيران آخـــر مـــن يطـــير؟
أســـفاً وقـــد يجـــدي التأســـف حـــين يجـــتس الشـــعور
ولعـــل في هـــذا الشـــعور بـــوارق الأمـــل المـــنير

* * *

يـــا أيهـــا الســـرب المجـــد قدومـــه الأمـــل النضـــير
حـــدث بـــني الشـــرق الطمـــوح بمـــا لـــدى الغـــرب الخطـــير
وأبـــن لـــنا كـــيف اســـتبدوا بالـــبرور و بالـــبحور
واســـتعبدوا الجـــو الطلـــيق وذللـــوا مـــتن الأثـــير
واذكـــر أعاجـــيب الـــتقدم ثم والعلـــم الجســـور
واضـــرب لـــنا مـــثل الفـــتوة والشـــباب المســـتنير
وارفـــع لـــواء العـــرب خفاقـــاً علـــى هـــام الدهـــور
فعلـــيك قـــد عقـــد الـــرجاء وأنـــت جـــد بـــه جديـــر
وإذا النســـور غـــدت[1] طلـــيعة أمـــة و هـــم الصـــدور
بلغـــوا ذرى المجـــد الـــرفيع وحلقـــوا بـــين الـــبدور

- واستجابة للرغبة الكريمة التي أبداها البعض سأنشدكم القصيدة التي نظمتها عقب رحلتي إلى جزائر الهند الشرقية.

- إشارة إلى ما ذكره الأستاذ حسين نجار عن رحلتي إلى جزائر الهند الشرقية أحب أن أقول: إنه بعد أن أتممت تعليمي في مصر واشتغلت بالتدريس هنا في المملكة نحو سنتين رحلت إلى جاوه، في رحلة علمية كنت أريد بها المغرب، فأراد الله تعالى لي المشرق، فذهبت إلى جاوه، يرافقني في رحلتي الزميلان عبد الله الخطيب، وصالح الخطيب، وركبنا من مصر إلى جاوه باخرة كبيرة مكثّت في البحر قرابة شهر وثلاثة أسابيع حتى وصلنا سنغافورة. وفي سنغافورة ألقيت محاضرة في النادي الأدبي الذي أقامه السادة

---

[1] في الأصل وردت كلمة "يكن" وهي فعل مضارع مجزوم لم نجد سبباً لجزمه فحذفت وأبدلت بكلمة "غدت".

السقافون، الذين أكرمونا كثيراً واحتفلوا بنا. ثم ذهبت إلى جاوه. فعلى أثر هذه الرحلة نظمت قصيدة ذكرت فيها رحلتي في البحر وهي أشبه بموشح، أقول فيها:

أي صـــوت هـــز في الـــنفس رجاهـــا ودعاهـــا فاســـتجابت إذ دعاهـــا

* * *

وانـــبرت تعـــدو إلى الغايـــة وثـــبا أنفـــس قـــد وطـــدت عـــزماً وقلـــبا

أن تغـــذ الســـير في الآفـــاق دأبـــاً لا تـــبالي مـــا تلاقـــى في هـــواها

أتلاقـــي الســـعد أم تلقـــى رداهـــا

* * *

أي صـــــوت ذاك أم أي نـــــداء؟ دب فيـــنا كدبـــيب الكهـــرباء

فاســـتهنا كـــل جهـــدٍ وعـــناء وهجـــرنا فـــيه أهـــلاً ورفاهـــا

وبـــلاداً مـــلء أحشـــاءٍ هـــواها

* * *

إنـــه هاتـــف ذا[1] الشـــرق العتـــيد هاتـــف أســـفر عـــن عهـــد جديـــد

ربمـــا أربى علـــى الماضـــي المجـــيد لم لا والشـــرق قـــد عـــج انتـــباها

وخطـــا للغايـــة الجُلـــى خطاهـــا

* * *

مـــا أهـــاب الشـــرق بي وبصـــاحبيا هاتفـــاً إلا وأحسســـنا دويـــا

لصـــداه بـــين جنبيـــنا قـــوياً فـــإذا أنفســـنا جـــل مـــناها

أن تلـــبي صـــوته لمـــا احـــتواها

* * *

فعـــزمنا وامتطيـــناها ســـفيناً تمخـــر الـــيم بـــنا رفقـــاً وليـــنا

وهـــو كالمهـــد لهـــا حيـــناً وحيـــناً تـــارة تبصـــره طـــوع رجاهـــا

فتـــراها كعـــروس في ســـراها

* * *

وأحـــايين تـــراها تـــتنزى كـــتنزي الحـــوت في الأشـــراك قفـــزا

وعـــباب البحـــر مـــن ذلـــك يهـــزا فهـــو لا يـــنفك مغـــرى بأذاهـــا

---

[1] في الشريط المسجلة به وقائع الأمسية وردت هكذا "ذي" بمعنى صاحب، غير أن المعنى لا يستقيم بوجودها فأبدلت باسم الإشارة "ذا".

كلمـــا مـــرت علـــى مـــوج رماهـــا

* * *

هـب عبـاب اليم أصلـَى الفلك بأسـاً أتـــراها طأطـــأت للعجـــز راســـا؟
أم تـــراها نكصـــت خـــوفاً ويأســـاً؟ إنهـــا مـــا أســـلمت قـــط شـــباها
لا ولا لانـــت علـــى الغمـــز قـــناها

* * *

يـــا لهـــا مـــن صـــاحبٍ نعـــم المؤســـي فلقـــد ألقـــت عليـــنا خـــير درس
في طـــلاب المجـــد لـــو يجـــدي التأســـي ولكـــم مـــوعظة أســـدى هـــداها
أعجـــم لم يـــدر يـــوماً مـــا لُغاهـــا

* * *

يا ابن هـذا الشـرق إن رمـت النجاحـا وثقفـــت العلـــم واعـــتدت الكفاحـــا
فـــتعلم أن للفـــوز ســـلاحاً همـــة شمـــاء لا يـــدري مـــداها
وجهـــاداً دائمـــاً في مبـــتغاها

* * *

أيهـــا المســـلم في الشـــرق العـــريق أنـــت للمســـلم في الـــدين شـــقيق
لم لا تعتـــز مـــنه بصـــديق وحـــدة قـــد شـــيد الـــدين بـــناها
لم لا نـــبلغها أســـمى ذراهـــا

* * *

لم يـــا أخوانـــنا لم نأتلـــف لم لا نعمـــل كـــتفاً لكـــتف
أنســـينا ماضـــياً فيـــنا ســـلف حـــين كـــنا قـــوةً عـــز حماهـــا
أحكـــم الإســـلام توثـــيق عـــراها

* * *

إنـــنا لم نـــرق في تلـــك العصـــر ونســـد إلا بـــذا الـــدين الأغـــر
ويتوحـــيد الجهـــود والوطـــر هـــل رأيـــتم أمـــة نالـــت مـــناها
بســـوى الجـــد وتوحـــيد قـــواها

* * *

هكـــذا تاريخـــنا علمـــنا أنْ نســـوي أبـــداً وحدتـــنا
ونضـــحي نفـــتدي عـــزتنا شـــرعة إنْ نحـــن عليـــنا لـــواها

بلغـــــت أوطانـــــنا أوج علاهـــــا

* * *

لا أغـــالي أنـــا إن كـــنت البشـــير بالـــذي نـــرجوه مـــن شـــأو خطـــير

فجهـــاد الشـــرق بالفـــوز جديـــر إنـــنا نلمـــس روحـــاً يتضـــاهى

في شـــباب طـــاب في الشـــرق جـــناها

* * *

لم لا والشـــرق مهـــد الحكمـــاء لم لا وهـــو مـــنار النـــبغاء

أيظـــل الشـــرق وهـــو ابـــن ذكـــاء ظلمـــات أطـــبق الجهـــل عماهـــا

ســـبة تلـــك ســـينجاب دجاهـــا

* * *

فلقـــد لاح ســـنا الفجـــر المـــبين وتـــبارت عـــزمات العـــاملين

ســـدد الله جهـــود المخلصـــين إنـــه إن يهـــد ذا نفـــس هـــداها

يكـــن التوفـــيق صـــنواً لـــرجاها

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

((كلمة الأستاذ عثمان حافظ))

ثم يلقي الأستاذ حسين نجار كلمة أعدها الأستاذ عثمان حافظ الذي حالت ظروفه الصحية دون أن يكون موجوداً تلك الليلة ليلقيها بنفسه ولتعبر للمحتفى به عن عمق الصداقة التي تربط بينهما ولتترجم مدى الوفاء الذي يحمله الأستاذ عثمان حافظ لصديقه الحميم، وهي كما يلي:

- الحمد لله والصلاة والسلام على مصطفاه وآله وصحبه ومن والاه.

- لقد قال لي صاحبي وهو يتحدث عن فضائل السيد الصديق أحمد العربي: إنه يجب عليك يا عثمان أن تقدم السيد أحمد العربي للصداقة الكبيرة العريقة التي تربط بينكما، وأنت تعرف عنه ما لا يعرفه الكثير منا. قلت له: قد يكون ذلك، ولكن مشكلتي أنني لم أتعود الوقوف على المنابر، ولا أعرف أنني وقفت خطيباً في حياتي إلا مرتين اثنتين، أولاهما عندما تكرم بعض الأصدقاء بإقامة حفل تكريمي لنا بمناسبة صدور العدد الأول من جريدة "المدينة المنورة" في عام ١٣٥٦هـ، كان لا بد من إلقاء كلمة شكر على هذا العمل الطيب. والمرة الثانية عندما أقمنا حفلة تكريم للدكتور محمد الخاشقجي – رحمه الله – بعد عودته إلى المدينة يحمل شهادة الطب، وعين مديراً للصحة في المدينة المنورة. وكنت أحد

المتحمسين لإقامة الحفل فلم أستطع التخلص من إلقاء كلمة في الموضوع، وأذكر أنه عندما كان أستاذنا السيد أحمد صقر – رحمه الله – يشير إلي بسبابته في درس المحفوظات يدعوني لإلقاء قطعة شعرية من محفوظاتنا، كنت أتلعثم أثناء الإلقاء مما أشعر به من هيبة الموقف مع أني كنت أحفظ تلك القطعة الشعرية حفظاً جيداً. إنه نقص كنت أشعر به وأحسه وأخجل منه ولكن لا حيلة لي فيه، فأنا هكذا خلقت ويعزيني أن كتب الأدب مملوءة بالذين تحرجهم مثل هذه المواقف والناس في هذا على فريقين: فريق يقول قائلهم:

لقـــد علـــم الحـــي الـــيمانون أنـــني إذا قلـــت: أمـــا بعـــد أني خطيـــبها

- ويقول قائلهم للفريق الثاني:

وفي الـــنفس حاجـــات وفـــيك فطانـــة ســـكوتي بـــيان عـــندها وخطـــاب

- وقالوا عن أمير الشعراء أحمد شوقي أنه: ما رؤي قط يروي شيئاً من شعره مع طول باعه في الشعر.

- يقولون: إنه ليست لديه موهبة الإلقاء. هكذا وضعي مع التخلف في الوقوف على المنابر ولكن هذا الموقف مع الصديق الحبيب السيد أحمد العربي قد أنطقني وشجعني على الحديث هذا.

- إن السيد أحمد العربي أيها السادة هو صديق العمر، ورفيق الحياة منذ طفولتنا المبكرة، فقد كنا نسكن متجاورين يفصل بين منازلنا جدار واحد، وكنا دائماً نتبادل كؤوس الشاي الأخضر المنعنع من النوافذ ونتذاكر دروسنا من النوافذ.

ويعلق السيد أحمد العربي على ذلك بقوله:

- لقد كانت أيام حلوة أي والله.

ثم يواصل السيد حسين نجار في إلقاء كلمة الأستاذ عثمان حافظ قائلاً:

- لقد قضينا فترة طويلة من حياتنا اليومية لا نفترق إلا وقت النوم، كنا بعد صلاة الفجر بالمسجد النبوي نتلقّى دروس النحو والصرف على والده الجليل الشريف محمد العربي - رحمه الله - وبعد تناول الإفطار نذهب سوياً إلى مدرسة جوهر آغا، وكان ناظر هذه المدرسة أستاذنا الشيخ عبد القادر شلبي - رحمه الله - ندرس عليه مختلف العلوم والفنون وكان معنا عدد من الزملاء ومنهم الأستاذ الكبير محمد حسين زيدان. وبعد العصر نخرج سوياً للفسحة إما في باب الشامي أو باب العنبرية أو إلى أحد البساتين القريبة كالحجارية والمراكشية. وبعد المغرب نحضر درساً في المسجد النبوي عند الشيخ عبد القادر شلبي - رحمه الله -. وهكذا لا نفترق إلا ساعات النوم، وكنا ولله الحمد في تفاهم دائم وتعاون وصداقة تعتبر مثالية. لا أذكر أننا اختلفنا أو تنازعنا في شيء، واستمرت ولله الحمد هذه الصداقة وهذا الإخاء أكثر من ستين عاماً أدام الله هذه الصداقة وزادها وثوقاً.

- وكان السيد أحمد العربي مثالاً للخلق الكريم والخصائل الحميدة. فلا يلقاك إلا هاشاً باشاً مبتسماً، وكان نظيف القلب فلا يضمر سوءاً لأحد، ولا يحقد على أحد، نظيف اللسان والقلم. فلا يذكر أحداً بما يكره في غيابه أو حضوره، عزيز النفس شامخ الأنف من الذين قال فيهم الشاعر:

خلقـــت عزيـــزاً لا أرى لابـــن حـــرة علـي يـداً أغضـي لهـا حـين يغضـب

- وإني أستسمح الأخ العزيز السيد أحمد في ذكر حادثة مر عليها حوالي ٤٠ عاماً ما زلت أذكرها، تلك أنه عندما كان مديراً لمدرسة تحضير البعثات بمكة المكرمة تعين بالمدرسة أستاذان وكانا ذوي حظوة لدى بعض المسؤولين، وخصص لكل واحد منهما ٢٠٠ ريال شهرياً، وكان مرتب السيد أحمد ١٨٠ ريالاً فعرضنا عليه أن يطالب بزيادة مرتبه أسوة بهما، لكنه رفض ذلك تعففاً وترفعاً، وكان على جانب كبير من العلم والفضل والثقافة وله باع كبير في الأدب شعراً ونثراً، فلقد نشر في أول عدد من جريدة "المدينة المنورة" قطعة شعرية رائعة نشرها قبل حوالي نصف قرن أذكر هنا بعضاً منها وكانت تحت عنوان: إيه يا بدر. يقول فيها:

إيـــه يـــا بـــدر كـــم يـــد لـــك وضـــاءة مـــلء النهـــى ومـــلء القلـــوب
إيـــه يـــا بـــدر بـــوركت يـــدك البيضـــاء عـــندي وعـــند كـــل أريـــب

* * *

أنـــت يـــا بـــدر شـــعر لحـــن الخلـــود أنـــت أنشـــودة الـــرجاء السـعيد
أنـــت فيـــثار لحـــن هـــذا الوجـــود
أنـــت إلـــياذة العـــوالم مـــنذ فجـــر شـــروق الحـــياة حـــتى الغـــروب
وعلـــى لـــوحك الوضـــيء تجلـــت ســـنما هـــذه الحـــياة اللعـــوب
رب لـــيل نهبـــته في جـــوارك أتســـلّى عـــن الهـــوى بجـــوارك
أجتلـــي الكـــون مـــن خـــلال إهابـــك

- والقصيدة طويلة وكلها على هذا النسق من الإبداع والجمال وأنا أعرف أن السيد يتمتع بإلقاء جيد في رواية الشعر.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته...

((كلمة الأستاذ هاشم زواوي))

ثم تعطى الكلمة للأستاذ هاشم زواوي، الذي يبدأ حديثه قائلاً:

- بسم الله الرحمن الرحيم، وأحمد الله.

- السيد أحمد العربي عرفناه شاعراً مجيداً ملقياً وخطيباً. يسلب السامعين بإلقائه الجميل، وروعة نبراته البينة الناطقة بما يختلج ويعتلج في صدره من أحاسيس ومشاعر. وإذ لم تسعفه ظروفه الصحية هذه الليلة ليتحفنا بنغماته في الإلقاء، فإننا قد نعمنا بسماعه وإلقائه خلال مشاركته لنا طيلة ربع قرن من الزمن في سبيل النهضة الأدبية والشعور بالواجب الأدبي نحو بلادنا ووطننا. وللتاريخ أقول لكم أيها السادة إنه تأسست لجنة أطلق عليها: لجنة الشباب العربي السعودي، وكان يرأسها والد صديقنا الذي أضفى علينا من كرمه وخلقه ما جعلنا نتمتع بهذه الأمسيات العطرة في جو من الأدب الرائع والطرف التي نحظى بها من كتب قيمة وما إلى ذلك. وكان الأستاذ أحمد العربي عضواً في هذه اللجنة، ولعلي أذكره بأن آخر مساهمة له في هذه اللجنة معي اشتراك فضيلته ضمن الوفد الذي ذهب إلى نائب جلالة الملك عبد العزيز في مكة حينئذٍ حيث طلب أعضاء الوفد من سموه أن يحضر إلى الحفل الذي أقيم لتكريمه في سيارة مكشوفة حتى يتمكن الجمهور من مشاهدته وإلقاء التحية إليه، فاستجاب سموه، وخرج من بيته ماشياً إلى الحفل، فكانت لفتة من سموه قوبلت من الجميع بالإكبار والاحترام.

- ولقد تخرج من مدرسة تحضير البعثات إبان فترة إدارته لها أول فوج من الطلاب، ومنهم الدكتور علوي جفري، والدكتور حسن نصيف والدكتور حامد هرساني وأسعد جمجوم ومحمد سعيد ساري، ومعتوق باحجري ونخبة من شبابنا الذين أنهوا دراستهم الثانوية في مدرسة تحضير البعثات وتوجهوا إلى مصر، وإني أحمد الله أنهم عادوا منها ملء العين والبصر. فهذه الجهود التي بذلها السيد أحمد العربي أنبتت نبتة حسنة، ولا زال السيد أحمد العربي يعطي حتى يومنا هذا عطاءاً ساراً لا أستطيع أن أوضحه للسامعين، ولكن أستطيع أن أشكره على ما يبذل. وختاماً أسأل الله له مزيداً من العمر وأن يجعل أيامه في رفاهة وهناء.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

بعد ذلك تحدث الأستاذ حسين نجار موجهاً حديثه بصفة عامة إلى الحضور، وبصفة خاصة إلى الشاعر الكبير عمر أبي ريشة قائلاً:

- نعود إلى مطلب الجميع إلى شاعرنا الأستاذ عمر أبي ريشة.

ويعلق الأستاذ زيدان على ذلك بقوله:

- هذا المطلب فيه معنى التكريم منك لنا، وفيه معنى التكريم منا لك.

وهنا يتدخل الأستاذ عزيز ضياء قائلاً:

- منحات الزيدان مشهورة.

ويستجيب الأستاذ عمر أبو ريشة قائلاً:

- فليسمح لي إذن صديقنا وأديبنا الكبير الأستاذ الزيدان بأن أقدم نفسي بنفسي وأقول:

رب ضـــــاقت ملاءـــــبي في الـــــدروب المقـــــيده
أنـــا عمـــر مخضـــب وأمـــــان مشـــــرده
ونشـــــيد خـــــنقت في كبريائـــــي تـــــنهده
رب مازلـــــت ضـــــارباً مـــــن زمـــــاني تمـــــرده
بســـــماتي ســـــخية وجراحـــــي مضـــــمده

- وإذا أراد الأستاذ زيدان صورة أخرى تمثلني أعرضها هكذا:

تتســـــاءلين عـــــلام يحـــــيا هـــــؤلاء الأشـــــقياء؟
المتعـــــبون ودربهـــــم قفـــــر ومـــــرماهم هـــــباء
الواجمـــــون الذاهلـــــون أمـــــام نعـــــش الكـــــبرياء
الصـــابرون علـــى الجـــراح المطـــرقون علـــى الحـــياء
أنســـتهم الأيـــام مـــا تـــرف الحـــياة ومـــا الـــبكاء
أزرت بدنـــياهم ولم تتـــرك لهـــم فـــيها رجـــاء
تتســـاءلين وكـــيف أعلـــم مـــا يـــرون علـــى الـــبقاء
امضـــي لشـــأنك اســـكتي أنـــا واحـــد مـــن هـــؤلاء

- وسمعت منذ دقائق أديبنا الكبير يتحدث شعراً عن نسرٍ، ولي حديث طويل مع نسرين: النسر الأول رأيته في قريتي أيام العز طبعاً جاثماً على أنقاض قصر قديم روماني لا يستطيع غير الظن أن يتحدث عن ماضيه، قلت:

قفـــي قدمـــي إن هـــذا المكـــان يغـــيب بـــه المـــرء عـــن حســـه
رمـــال وأنقـــاض صـــرح هـــوت أعالـــيه تـــبحث عـــن أســـه
أقلـــب طـــرفي بـــه ذاهـــلاً وأســـأل يومـــي عـــن أمســـه
أكانـــت تســـيل علـــيه الحـــياة وتغفـــو الجفـــون علـــى أنســـه
وتشـــدو الـــبلابل في ســـعده وتجـــري المقاديـــر في نحســـه

أأسـ ـتنطق الصـ ـخر عـ ـن ناحتـ ـيه وأسـ ـتنهض الـ ـيت مـ ـن رمسـ ـه
حوافـ ـر خـ ـيل الـ ـزمان المشـ ـت تكـ ـاد تحـ ـدث عـ ـن بؤسـ ـه
فمـ ـا يرضـ ـع الشـ ـوق مـ ـن صـ ـدره ولا يـ ـ ـنعب الـ ـ ـبوم في رأسـ ـ ـه
وتلـ ـ ـك العـ ـ ـناكب مذعـ ـ ـورة تـ ـريد الـ ـتفلت مـ ـن حبسـ ـه
لقـ ـد تعـ ـبت مـ ـنه كـ ـف الـ ـدمار وباتـ ـ ـت تخـ ـ ـاف أذى لمسـ ـ ـه
هـ ـنا يـ ـنفذ الـ ـوهم أشـ ـباحه وينتحـ ـر الـ ـوت مـ ـن يأسـ ـه

- والنسر الآخر رأيته بعد سنوات من هذه الحادثة على كومة من صخور، فسألت أحد أصدقائي الفلاحين في القرية، ماذا يفعل هذا النسر هنا؟ له آفاقه. قال: لم نشأ أن نصطاده إلا بعد موافقتك إنه هنا منذ أسابيع يأكل مع عجاف الطير. ذكرت هذه الحادثة وذلك النسر لما عينت وزيراً وأخرجت من بلادي عام ١٩٤٨م. وسألت عنه الفلاحين فقالوا: إنه لم يعد. ولذلك لم نتمكن من صيده. قلت: إنه عاد إلى تلك القمم ليموت فيها.

أصـ ـبح السـ ـفح ملعـ ـباً للنسـ ـور فاغضـ ـبي يـ ـا ذرى الجـ ـبال وثـ ـوري
إن للجـ ـ ـرح صـ ـ ـيحة فاخلعـ ـ ـيها في سمـ ـاع الـ ـدنى فحـ ـيح سـ ـعير
هـ ـبط السـ ـفح طاويـ ـاً مـ ـن جناحـ ـيه علـ ـ ـى كـ ـ ـل مطمـ ـ ـح مقـ ـ ـبور
فتـ ـبارت عصـ ـائب الطـ ـير مـ ـا بـ ـين شـ ـرود مـ ـن الأذى ونفـ ـور
لا تطـ ـ ـيري جـ ـ ـوابة السـ ـ ـفح فالنسـ ـر إذا مـ ـا خـ ـبرته لم تطـ ـيري
نسـ ـل الـ ـوهن مخلبـ ـيه وأدمـ ـت منكبـ ـ ـيه عواصـ ـ ـف المقـ ـ ـدور
والـ ـوفار الـ ـذي يشـ ـيع علـ ـيه فضـ ـلة الإرث مـ ـن سـ ـحيق الدهـ ـور
وقـ ـف النسـ ـر جائعـ ـاً يـ ـ ـتلوى فـ ـوق شـ ـلو علـ ـى الـ ـرمال نـ ـثير
وعجـ ـاف الـ ـبغاث تدفعـ ـه بالمخلـ ـب الغـ ـ ـض والجـ ـ ـناح القصـ ـ ـير
فسـ ـرت فـ ـيه رعشـ ـة مـ ـن جـ ـنون الكـ ـبر واهتـ ـز هـ ـزة المقـ ـرور
ومضـ ـى سـ ـاحباً علـ ـى الأفـ ـق الأغـ ـبر أنقـ ـ ـاض هـ ـ ـيكل مـ ـ ـنخور
وإذا مـ ـا أتـ ـى الغـ ـياهب واجـ ـتاز مـ ـدى الظـ ـن مـ ـن ضـ ـمير الأثـ ـير
جلجلـ ـت مـ ـنه زعقـ ـة نشـ ـت الآفـ ـاق حـ ـرى مـ ـن وهجهـ ـا المسـ ـتطير
وهـ ـوى جـ ـثة علـ ـى الـ ـذروة الشـ ـماء في حضـ ـن وكـ ـره المهجـ ـور
أيهـ ـا النسـ ـر هـ ـل أعـ ـود كمـ ـا عدت أم السـ ـفح قـ ـد أمـ ـات شـ ـعوري؟

ثم يقرأ الأستاذ حسين نجار: نيابةً عن المحتفى به الأديب الأستاذ القدير أحمد بن الشريف محمد العربي قصيدة عن العيد تضمنت هذه الأبيات:

أيهـــا العـــيد كـــم تـــثير شـــجوني ... وتـــوري مـــن وجـــدي المكـــنون
فلكـــم خلـــف ثـــوبك الفـــاتن ... الخـــلاب مـــن لـــوعة وشـــجو كمـــين
أيهـــا العـــيد كـــم تخطـــيت قـــوماً ... هـــم مـــن الـــبؤس في شـــقاء فطـــين
لم تـــزدهم أيامـــك الغـــر ... إلا حســـرة في تـــأوه وأنـــين
أبصـــروا المتـــرفين فـــيك وللنعمـــى ... علـــيهم رواء يســـر ولـــين
كـــل رهـــط يفـــتن في المأكـــل الملـــذوذ ... والملـــبس الأنـــيق الـــثمين
لا يـــبالي مـــا أنفقـــته يـــداه ... في الملاهـــي مـــن طـــارف ومصـــون
وإذا مـــا دعـــاه للـــبر داع ... فهـــو في المكـــرمات جـــد ضـــنين
أيهـــا العـــيد رب طفـــل يعـــاني ... فـــيك مـــن بؤســـه عـــذاب الهـــون
هاجـــه تـــربه بملبســـه الزاهـــي ... وكـــم فـــيه للصـــبا مـــن فـــتون
فـــرنا نحـــوه بطـــرف كلـــيل ... لـــيس يقـــوى علـــى احـــتمال الشـــجون
ثم ولّـــى والحـــزن يفـــري حشـــاه ... مســـتغيثاً بعطـــف أم حـــنون
وجـــثا ضـــارعاً إلـــيها يناجـــيها ... بدمـــع مـــن مقلتـــيه هـــتون
ويحهـــا مـــا عســـاها تـــنال يـــداها ... وهـــي خلـــو الشـــمال صـــفر الـــيمين
كـــل مـــا تســـتطيعه عـــبرات ... مـــن عـــيون مقـــرحات الجفـــون

* * *

أيهـــا الموســـرون رفقـــاً وعطفـــاً ... وحـــنانا بالـــبائس المحـــزون
ربمـــا بـــات جـــاركم طاويـــاً جـــوعاً ... وبـــتم تشـــكون بشـــم الـــبطون
ربمـــا ظـــل طـــيلة العـــيد يســـتخفي ... مـــن الصـــحب قابعـــاً كالســـجين
يـــتوارى مـــن ســـوء منظـــره المـــزري ... ومـــن حالـــه الكـــريه المهـــين
أي فضـــل للعـــيد يســـتأثر ... المثـــرون فـــيه بالطالـــع الميـــمون
والفقـــير الكئـــيب يـــرجع مـــنه ... بنصـــيب المـــرزأ المغـــبون
كـــل دهـــر المثـــرين عـــيد فمـــا ... أغـــنى ثـــراهم مـــن عهـــده المضـــنون
ليـــت شـــعري مـــتى يكـــون لـــنا ... عـــيد حقـــيق برمـــزه المكـــنون

فيشـــيع الهـــناء في كـــل نفـــس ويؤاســـي فـــؤاد كـــل حـــزين

ويعلق الأستاذ عزيز ضياء على ما سمعه من شعر قائلاً:

- لقد سألت الأستاذ أحمد العربي عن السنين التي مرت على كتابة هذا الشعر أو هذه القصيدة فقال: إنها مما نشر في كتاب "وحي الصحراء"، وكتاب وحي الصحراء نشر منذ ما لا يقل عن سبعة وأربعين عاماً، وهنا يطيب لي أن ألاحظ أن الشعراء في ذلك الزمن السحيق البعيد كانت هذه أحاسيسهم، وكانت هذه تطلعاتهم، وكانت هذه مشاركتهم لبؤس الإنسان في ذلك الزمان، ولا أرى أن الصورة قد تغيرت كثيراً، ولكني أرى أن الشعراء في أيامنا بعدوا كثيراً عما ينبغي أن يقال ويقال بصراحة وجهر كما سمعنا في قصيدة الأستاذ السيد أحمد العربي.

ويتدخل الأستاذ أحمد المبارك بقوله:

- أنا أجيب على تساؤل الأستاذ عزيز ضياء، فأقول: إن الشعراء الذين كانوا يحسون بالبؤس تحولوا إلى المرفهين الذين أصابهم الشاعر بهجائه، وشكراً.

ويطلب الأستاذ حسين نجار من الأستاذ بابا طاهر أن يسمع الحضور شيئاً من شعره، فيجيب بابا طاهر، قائلاً:

- عيبي أني لا أحفظ شعري وأنا الآن أعيش حالة مخاض، ربما تكتمل بعدها ولادة قصيدة عنوانها: "حطام قيثارة".وهي دمعة سأسكبها على أستاذي، الأستاذ الذي فارقنا هذه الأيام الأستاذ عبد القدوس الأنصاري:

- أذكر مطلع القصيدة فقط:

سـوف يبقـى علـى الحـياة مـناراً مشـرقاً يمـلأ الدنـى أنـوارا
خـط للمجـد بالمحامـد سـفراً كـل سـطر فـد خلـد الآثـارا
هـي كانـت بـدرب المجلـين علـى ضـوئها شـافوا المسـارا
بصـرير الـيراع يغـزو سـواد اللـيل يصـطاد بالحجـى أفكـارا
وثمـار الأفكـار لا تمـنح الجهـد إلا إذا كـان عاصـفاً جـبارا
فـبه الجهـد عاصـفاً ولـه الـرأي حصيفـاً وخطـوه لا يبارى

ثم قرأ الأستاذ حسين نجار نيابة عن المحتفى به قصيدة ورد ذكرها في كتاب "وحي الصحراء"، بعنوان "بين اليأس والأمل"، جاء فيها:

أرحـني بـبرد الـيأس إن كـنت قاسـياً ... فـإني وجـدت الـيأس أشـفى لـما بـيا
تعلقـت بالآمـال دهـراً لعلـني ... أصـيب بهـا ورداً مـن العـيش حالـيا
وعللـت نفسـي بالأمـاني رجـاء أن ... أفيء إلى ظـل مـن المجـد ضـافيا
وأنكـرت بأسـاء الحـياة وضـرها ... وأكـبرت مـن يلقـى الكـوارث لاهـيا
وأحسـنت ظـني باللـيالي وعهـدها ... وأحـداثها تـنهال شـتى حيالـيا
صـمدت إلـيها رابـط الجـأش باسمـاً ... أشـيم بهـا بـرقاً مـن السـعد باديـا
وأرغمـت حسـادي وخالفـت ناصحي ... وقلـت عـلام المـرء يلحـى اللـيالي
وطاوعـت أحلامـي وتابعـت طـيفها ... إلى أن بـدا فجـر الحقـيقة ضـاحيا

ثم تحدث الأستاذ حسين نجار إلى المحتفى به معبراً عن شعور الحضور جميعاً، قائلاً:

- الواقع أن رحلة الأديب الكبير الأستاذ أحمد العربي في طول الحياة وعرضها فيها الكثير من التجارب لم نسمع منها إلا النزر اليسير. لهذا نعود مرة أخرى ونطلب منه أن يعطينا بعضاً من تفاصيل تلك الحياة وما فيها من متاعب، وما فيها من جهاد، وما فيها من كفاح، فنرجو أن يتفضل.

ويستجيب السيد أحمد العربي لطلب المستمعين، فيقول:

- والله رحلتي طويلة ذات أحوال مختلفة، لكن الذاكرة الآن ضعيفة، لا تسعفني باستحضار صور كاملة لما مر بي. غير أني على هامش التعلق بالحياة الأدبية يسرني أن أقول: إنني كنت طالباً في مصر وكان تعلقنا بالحياة الأدبية وبالقومية العربية تعلقاً كبيراً، وقد ألف نخبة من الشباب السعودي الذين كانوا يدرسون بمصر ندوة أسموها "الندوة الأدبية" يجتمعون بها، ويقومون بإلقاء القصائد في المناسبات، وأذكر من أفراد تلك النخبة السيد محمد شطا وأنا وفؤاد شاكر - عليه رحمة الله - والأستاذ هشام دفتردار. ومن تعلقنا بالقومية العربية فكرنا في حث كبار الشعراء لتغذية هذه الروح وتطويرها في النفوس فكونا وفداً منا وقمنا بزيارة أحمد شوقي - عليه رحمة الله - في كرمته (كرمة ابن هاني).

- وقابلناه وعرضنا عليه مطلبنا وهو أننا نحب منه وهو شاعر العروبة الكبير أن يغذي روح الوحدة العربية، فكان لطيفاً جداً معنا حيث قابلنا أحسن مقابلة، وفي تلك الأيام كانت مسرحية مجنون ليلى تعرض على المسارح. فقال لنا: إن مسرحية مجنون ليلى إحدى القنوات التي تغذي الفكرة التي تدعون إليها لكن في الوقت الحاضر لا أجد لدي استعداداً للقيام بشيء من هذا القبيل، كما قابلنا

محسن الكاظمي شاعر العراق الكبير وعرضنا عليه الفكرة نفسها. فقال: سأحاول إن شاء الله في المستقبل أن أنظم بعض القصائد في الوحدة العربية والقومية العربية ولكن مع الأسف لم نر شعراً في ذلك.

غير أن معالي الشيخ عبد الله بلخير يعلق على ذلك بقوله:

- بلى لقد فعل فكان أحسن من غيره. ولقد ألف الأستاذ عبد القدوس الأنصاري كتاباً عن "محسن الكاظمي" أثنى فيه عليه.

وسأل الأستاذ محمد حسين زيدان المحتفى به عن ذكرياته مع أستاذه علي الجارم، فقال السيد أحمد العربي:

- والله لقد كان أستاذي وهو الذي اختبرني في سنة التخرج اختباراً شفهياً في الأدب العربي لكني لا أذكر أن لي معه ذكريات خاصة، فضلاً عن أن الذاكرة ضعيفة كما قلت لا تسعفني بما يمكن أن أقوله.

ويطرح الأستاذ محمد سعيد طيب سؤالاً على المحتفى به، قائلاً:

- فما هي ذكرياتك مع طه حسين عندما قدم إلى المملكة عضواً في وفد الجامعة العربية وعقدت معه عدة جلسات وكنت أحد الأعضاء المشاركين فيها؟

فأجاب السيد أحمد العربي بقوله:

- ليس لي علاقة خاصة به. وكنت أحضر مع زميلي الأستاذ محمد سعيد العمودي الجلسات مندوبين عن مجلس الشورى، وربما انصبت مشاركتنا في الترتيبات التي أعدت للاحتفالات التي أقيمت لوفد الجامعة، لكني لا أذكر أن لي صلة خاصة بالدكتور طه حسين.

((كلمة الأستاذ طاهر زمخشري))

ثم يطرق الأستاذ طاهر زمخشري موضوع المسامرات الأدبية التي كانت تقام بمدرسة تحضير البعثات في الفترة التي كان السيد أحمد العربي مديراً لها، فقال:

- المسامرات الأدبية في عهد أستاذنا الجليل في تحضير البعثات كانت منبع خير، من ثمراتها قيام مسرح بها، عرضت عليه نخبة من طلاب المدرسة مسرحية لا أتذكر عنوانها الآن لكني أعلم أن من أبطالها الأستاذ الوزير علي الشاعر، والوزير أحمد زكي يماني والأستاذ عبد الله حبابي. ويؤسفني أن أقول

وبكل صراحة أن الصورة الجميلة للمسامرات الأدبية التي كانت تقام في مدرسة تحضير البعثات والنشاطات المختلفة التي تستقطب الأدباء كل خميس لم نر لها نظيراً حتى الآن.

- وكان يتولى مهمة سكرتير المسامرات كل من معالي الشيخ إبراهيم العنقري ومعالي الشيخ حسن مشاري. ومن ثمار تلك المسامرات ظهور فكرة تكريم الأدباء وكنت من أوائل الأدباء الذين كرمتهم مدرسة تحضير البعثات، وكذلك الأستاذ أحمد سباعي والأستاذ محمد عمر توفيق. واستمر الطلاب يكرمون كل أسبوع أديباً من المملكة. ولقد ابتكروا منهجاً خاصاً بهم في ذلك التكريم حيث يتم كتابة اسم الأديب المحتفى به قبل موعد تكريمه وتكتب تحت اسمه عبارة: من هو؟ فيتحدث عن الأديب الطلاب الذين تتكون لديهم المعلومات الكافية التي تمكنهم من إلقاء الضوء على الأديب ومكانته والتعبير عن نشاطه ومؤلفاته.

- من أجمل الذكريات التي أرويها بصفة مستمرة أنني جئت يوم تكريمي بمناسبة إصدار ديوان أحلام الربيع فوجدت سبورة كتب عليها: الأستاذ الشاعر طاهر زمخشري، من هو؟ ولما اكتمل عقد الحضور ألقى الأستاذ معالي الشيخ حسن مشاري محاضرة عني بدأها بعبارة ما زلت أعتز بها وأذكرها وأرويها كطرفة هي: طاهر الزمخشري كومة من الفحم السوداء، تلبس ثياباً بيضاء، تقول شعراً قصائده حمراء وخضراء وصفراء يعيش على جداول البلدية، وتحت الفانوس "وهذه العبارة الأخيرة إشارة لما كنت أكتبه في تلك الفترة من انتقادات اجتماعية، وملاحظات على جهاز البلدية". ثم تحدث بعد هذا التقديم اللطيف عن ديواني وباكورة إنتاجي "أحلام الربيع" وقدم دراسة مستفيضة عنه.

- وفي الواقع أن مدرسة تحضير البعثات خدمت الفكر أكثر من أية مدرسة أخرى. غير أني لا أنكر أن مدرسة الفلاح كانت القدوة، بيد أن تحضير البعثات كانت الصورة الجميلة المشرقة التي عشنا نتسابق ونتطلع من كل أسبوع للتوجه إلى جبل هندي لحضور المسامرات الأدبية التي لا يتخلف عنها أي أديب. ومن مساهمات السيد أحمد العربي في تشجيع النواحي الأدبية في الشباب هو إقامة الاحتفالات التكريمية للوفود والبعثات التي تزور المملكة ومنها على سبيل المثال بعثة الكشافة العراقية. فقد أقيمت لهم حفلات تكريمية وكان نجم تلك الحفلات شاعر الشباب عبد الله بلخير، وقد صدر كتيب بمجموعة القصائد والأناشيد التي قيلت في تلك المناسبة ولا ننسى الدور الفعال الذي كان يقوم به الأستاذ محمد سعيد عبد المقصود - رحمه الله -. ومن الأنشطة التي تبناها السيد أحمد العربي مساهمة الشباب في دعم جمعية الإسعاف بمشاركة الأستاذ عزيز ضياء والأستاذ عبد السلام الساسي - يرحمه الله - وبعض الإخوان.

- فالهلال الأحمر إنما بدأ جمعية خيرية يطلق عليها جمعية الإسعاف وقد جندنا معشر الشباب في بيع تلك الطوابع وجمع قيمها لصالح جمعية الإسعاف.

- والأستاذ العربي بالرغم من أنه كان مدير مدرسة تحضير البعثات لكن نشاطاته في الحركة الفكرية كانت بارزة ومميزة، ولعل أهمها تبنيه طموحات الشباب فقد أصدر جماعة من الشباب بتوجيهاته ورعايته كتاباً أطلقوا عليه عنوان "النفثات"، وأذكر منهم على سبيل المثال السيد علي فدعق، السيد هاشم زواوي، وعبد الله عريف - الله يرحمه -. وخلاصة القول أن كل الشباب الجامعي الذين كانوا في الصفوف الأولى في مدرسة تحضير البعثات وأصبحوا الآن وزراء أو رؤساء أعمال يدينون بالفضل للسيد أحمد العربي ومعاونه الأستاذ عبد الله عبد الجبار. فلقد أدى الاثنان في صمت دوراً عظيماً جداً في تنشئة الشباب نشأة مباركة جعلت منهم طاقات تقود حركة التنمية في المملكة العربية السعودية.

والسلام عليكم ورحمة الله.

ويسأل الأستاذ الناقد علي العمير المحتفى به قائلاً:

- لي سؤال في الواقع أقدمه إلى أستاذنا أحمد العربي وأستاذنا عبد الله بلخير، فلقد لاحظت في قراءتي المتواضعة حِساً قومياً هائلاً متقدماً عند أدبائنا من الرعيل الأول كما استمعت إلى أستاذنا بلخير في حفل تكريمه من المقتطفات التي قالها فقويت ملاحظتي إلى هذه الناحية، ثم سمعت الآن أستاذنا العربي، فزادت دهشتي وليست ملاحظتي فقط. كان الحس القومي في تلك الأيام قوياً وكان المفروض أن يرسخ الحس القومي الآن أكثر من ذي قبل. والسؤال الذي أحب أن أوجهه إلى كل من أستاذنا السيد أحمد العربي، وأستاذنا معالي الشيخ بلخير هو: ما هي خلفيات هذا الدافع أو التحمس القومي إلى الحد الذي حمل أستاذنا العربي إلى أن يذهب إلى أحمد شوقي وعبد المحسن الكاظمي يحثهما أو يدعوهما إلى الدعوة إلى القومية العربية؟ أود أن أسمع حديث أستاذنا العربي أولاً، ثم أستاذنا عبد الله بلخير بعد ذلك حول هذا الموضوع بالذات. ولماذا ضعف هذا الحس القومي في جيلنا والجيل الذي جاء بعدنا؟ وشكراً.

فيجيب الأستاذ العربي قائلاً:

- يظهر أن شواغل الحياة في هذا الجيل الآن سلبت الكثير هذا الإحساس وأعني به الإحساس بالدعوة للوحدة العربية والقومية، فقد نشأ جيلنا في ظروف كانت تساعد على ظهوره، فقد كانت هناك ثورة عربية تعيش عنفوانها في سوريا وفي مصر وفي لبنان وبلاد عربية أخرى، وقد صاحب نفس الثورة العربية ظهور الحركة العربية في الحجاز. وإن كانت ضئيلة إلا أنها غذت الروح القومية وروح العروبة فينا جميعاً، وباختصار لم تكن لنا شواغل أخرى تشغلنا فكنا نتفاعل مع ما يدور حولنا، فكانت الدعوة والشعارات كلها متجهة نحو العروبة ونحو الأمة العربية، أما الجيل الحاضر فقد شغل في أمور أخرى في الوقت الحاضر، حيث تعددت الأحزاب وتباينت المبادئ والاتجاهات وانصرف الناس إلى

نواحي متعددة تقتل فيهم روح الوحدة، ولا ننسى وسائل الترفيه واللهو التي انشغل بها الشباب، وتركوا تنمية مداركهم وإحساسهم الديني والاجتماعي، والحقيقة أن القومية العربية كانت شغلنا الشاغل إلى حد أن أكثر مجالسنا وندواتنا وأحاديثنا كانت تدور حول هذا الموضوع.

- وأعتقد أن في جعبة الأستاذ عبد الله بلخير ما يوضح به لكم ما ترغبون معرفته.

ويستجيب معالي الشيخ عبد الله بلخير لدعوة السيد أحمد العربي فيلقي الضوء على كثير من الجوانب التي كانت خافية على طائفة كبيرة من الحضور، فقال:

- إن العمير بإثارته هذا الموضوع ذكرنا بسربنا الأول، كما قال الشاعر:

وذو الشـــوق القـــديم وإن تعـــرى مشـــوق حـــين يلقـــى العاشـــقينا

- كنا نتلمس في الحرم ونحن تلاميذ صغار قدوم البارزين من الحجاج، بل نسأل المطوفين عن أسماء وجهائهم، فإن ظفرنا بواحد من هؤلاء فإننا نبادر إلى الاحتفاء به نحن معشر طلاب مدرسة الفلاح، نزفّه زفّاً ونتتبعه تتبعاً طويلاً، فإذا جاء أحدهم عملنا له حفلة تكريم في مدرسة الفلاح، ولعل الحفلة التكريمية الأولى كانت لخير الدين الزركلي الذي رد على احتفالنا به بقصيدة رائعة كنا نحفظها. وعندما جاء الأمير شكيب أرسلان إلى المملكة ضمن أعضاء وفد السلام للصلح بين الإمام يحيى والملك عبد العزيز. تزاحمنا لتكريمه أنا وصديقي وزميلي في الفلاح الأستاذ طاهر حسين خزندار - الله يرحمه - وعبد اللطيف جزار ومجموعة آخرون وكل واحد منا يكتم في نفسه التحية التي يريد أن يحيي بها هذا الوفد العظيم. وقد حرصت أن أكون الأول في الاحتفاء بالأمير شكيب بقصيدة نشرت في صوت الحجاز. تلقيت بعد نشرها وأنا طالب في المدرسة رسالة من المؤتمر الإسلامي في القدس موجهة إلي. وعندما فضضت الظرف وجدتها مختومة بتوقيع الأمير شكيب أرسلان. لقد كانت رسالة جميلة رائعة، أستشهد فيها ببيت من الشعر من قصيدة قيلت في مدحه، يقول فيه:

قلـــدتني أفكـــارك الغـــر عقـــداً أي عقـــد لـــو تّـــم جـــيد ملـــيح

- فارتج علي، وأصبت بمثل القشعريرة أن يقول الأمير شكيب لتلميذ مثلي هذا الثناء. وليس هناك شك في أنني احتفظت بتلك الرسالة ذكرى عزيزة.

- بعد ذلك قام السيد طلعت حرب رجل الاقتصاد المصري في ذلك الوقت بزيارة للمملكة في وقت كانت فيه علاقة الملك عبد العزيز والملك فؤاد سيئة جداً حيث أبى الملك فؤاد أن يعترف بالمملكة السعودية، وأوفد لبحث الوضع كلاً من الشيخ الظواهري والشيخ المراغي وأخيراً جاء طلعت حرب باشا لزيارة الحجاز ويأتي في أول طيارة كان يقودها الطيار محمد صدقي وأسس في زيارته تلك للمملكة نواة بنك مصر، وقد احتفل به الملك عبد العزيز والأمير فيصل نائب الملك في الحجاز والشيخ عبد الله

السليمان رجل الدولة. وفي الاحتفال الذي أقيم له ألقيت قصيدة تحية له. وقد خفت عندما ذهبت إلى الحفلة أن لا يسمح لي بإلقاء القصيدة في حضور الملك عبد العزيز والأمير فيصل والشيخ عبد الله السليمان لصغر سني، لكنني تجرأت وقلت للشيخ ابن سليمان: عندي أبيات من الشعر أحب أن أقولها بهذه المناسبة فهل تسمحون لي بذلك؟ فسألني: هل هي طويلة؟ فعرفت من السؤال أن طولها قد يكون سبباً في عدم السماح لي بإلقائها فقلت: بل هي أبيات فأذن بالإلقاء. فألقيتها فرحاً نشواناً وبدأتها بالغزل مطلعها:

يـا حمـام الحمـى تغـن بشـعري ... في ربى الـروض بكـرة وأصـيلا
وارفع الصوت حين تسجـع حـتى ... يـرد الصـوت دجلـة والنـيلا
عل مصراً تصغـي فتسمـع مـاذا ... في ربـوع الحجـاز أمسـي مقـيلا

- وكان صديقي وحبيبي وزميلي محمد سعيد عبد المقصود، يقود التشجيع والتصفيق ويطالب بالإعادة والحاضرون يشاركونه ذلك.

- وقلت في هذه القصيدة وأمام الناس بجرأة الفتى الذي لا يقدر العواقب الأبيات التالية، مشيراً بذلك إلى حملات الصحف المصرية ضد السعودية، لأدلل لكم على الشجاعة والروح الوطنية التي كان يتمتع بها الشباب في تلك الفترة، فقلت لطلعت حرب:

عجـباً موقـف الكـنانة مـنا ... مـا عـرفنا لسـره تعلـيلا

- وكررت هذا البيت ثلاث مرات مما أثار دهشة الشيخ عبد الله السليمان صاحب الدعوة أن يسمع مني هذا الكلام، لكن الناس الحاضرين وعلى رأسهم الأمير فيصل وطلعت حرب، كانوا يدركون المعاني الرائعة التي تحملها تلك الأبيات:

قـرب الأبعـدون مـنا وصـدت ... وتمـادت فمـا عسـى أن نقـولا
أجديـر بهـا الصـدود وحـتام ... أمـا آن للجفـا أن يـزولا
قسـماً بالـذي بـرى الكـون ... لا يملـك فـرد سـواه فـيه فتـيلا
لو مشت مصر نـحو مكـةَ شبراً ... لمشـت مكـةٌ إلى مصـر مـيلا
قـد صبرنا وسـوف نصبر حتـى ... يقضـي الله أمـره المفعـولا
وإذا مـا الحبـيب أسـرف في ... الهجر فقـل للمحـب صبراً جميلا

عند سماع هذه الأبيات ارتجت القاعة بالتصفيق من قبل الحاضرين في تلك الأمسية وقطعوا على معالي الشيخ حديثه. ثم واصل معالي الشيخ بلخير حديثه قائلاً:

- هكذا تعرضت للموضوع وأنا لا أعلم أن المهمة السرية التي أوفد الملك فؤاد من أجلها طلعت حرب كانت إنهاء الخلاف بين الدولتين، فكادت قصيدتي تكون نوعا من الإلهام. وتمضي الأيام وتسمح الظروف، فألتقي بالسيد طلعت حرب لصداقته للشيخ السليمان، في بيروت عندما كان يأتي لإنشاء بنك مصر هناك ويسأل عن أولاد الشيخ عبد الله بن سليمان، فأحضر معهم لمقابلته، فقد كانوا أصغر مني سناً وكنت أقوم بدور الوكيل عنهم، وأرعى شؤونهم بتفويض من والدهم. وعند مقابلتي له قال لي: هل تعرف يا ابني أن قصيدتك التي قلت فيها: لو مشت مصر نحو مكة شبراً لمشت مكة إلى مصر ميلاً. قلت له: نعم أذكر تلك القصيدة التي فيها هذا البيت. قال: لقد كتبناها ضمن التقدير الذي بعثناه للملك فؤاد وللحكومة وقلنا لهم: إن الأولاد في المدارس يستنكرون هذا الوضع، فشكرته على ذلك شكراً عظيماً.

وطلب الأستاذ طاهر زمخشري من معالي الشيخ عبد الله بلخير أن يسرد على الحضور قصة فخري بك، فاستجاب الشيخ عبد الله قائلاً القصة من بدايتها:

- في موسم من مواسم الحج كان ضمن الوفد المصري الذي قدم للحج الأستاذ التفتازاني. ومصر معروف ثقلها في العالم العربي، لذلك فقد سلب الوفد المصري الأنظار من الوفد السوري الذي جاء في نفس الموسم أيضاً ولمهمة أخرى يرأسه جميل بك مردم، وزعيم الشباب فخري بك البارودي، والشاعر شفيق جبري وتوفيق الشيشكلي، هؤلاء في الاحتفالات الكثيرة المتوالية التي أقيمت تكريماً للبعثة العراقية ضاعوا مع الأستاذ التفتازاني، أحد عظماء العالم المصري والعربي، وكان يكتب في "الأهرام" كل يوم من أيام رمضان مقالاً طويلاً ضد الملك عبد العزيز آل سعود والسعودية، لأنه يرى أن سياسة المملكة لا تتفق من وجهة نظره مع السياسة التي يعتنقها، وعندما جاء إلى الحج نزل ضيفاً على الدولة في بيت الشيخ القطان أمين العاصمة، واحتفل به الشيخ عبد الله السليمان احتفالاً كبيراً، وبعد انقضاء أسبوع من وصول الشيخ التفتازاني، وفي الليلة التي جاءت الوفود للتسليم على الملك عبد العزيز في قصر السقاف، وهي الليلة التي جرت العادة أن يعمل فيها الاحتفال المشهور يوم السادس من ذي الحجة، ألقى الملك عبد العزيز خطبة طويلة عريضة وقال فيها: إنني تعبت مع الأمة العربية، وأبرقت إلى جميع الزعماء أن يصلحوا ما بيني وبين الإمام يحيى أخي وصديقي، ولكن أحداً لم يرد ولقد انقضت سنتان وقواتي على الحدود وأنا أكره الحرب ولا أريدها ولكن:

إذا لم تكـــن إلا الأســـنة مـــركباً فمـــا حـــيلة المضـــطر إلا ركـــوبها

- لذلك فقد أمرت في هذا المساء ابني سعود بأن يتقدم في الجبهة التي كان فيها من جهة جبال حجة، وابني فيصلاً من جهة تهامة ولا بلاغ إلا بالله. عند سماع هذا النبأ، وقف الشيخ التفتازاني خطيباً

وألقى كلمة لأول مرة جاء فيها قوله: لقد كرمك الله وأعزك ونصرك، ووفقك إلى كذا و. و. و. إلى آخره، وأخيراً قال: من توفيق الله لك ونصره لك أن يكون على يمينك الملك أمان الله خان ملك الأفغان، وأن يكون على شمالك عبد الله بن الوزير، الرجل الثاني في اليمن، وأن جميع أمراء الجزيرة العربية وجميع الزعماء المصريين والسوريين كلهم حولك يحقّون بك، وخطيبك التفتازاني، فكانت تلك لحظة جميلة من التفتازاني.

- وفي إحدى حفلات التكريم بالبعثة الكشفية العراقية، ألقيت قصيدة جاء فيها بيت، عجزه: "والجهل من تحت العمائم بادي"، فسر بذلك زعيم الشباب فخري البارودي ونهض من مقعده قائلاً: نعم نعم الجهل من تحت العمائم بادي، ففطن الجميع للنكتة، وضحكوا. وهنا أدرك التفتازاني المغزى، فبادر بخلع عمامته، وأظهر صلعته وقال: لا يوجد هنا جهل فصفق الحضور له تصفيقاً حاداً.

- ولأعيدكم الآن إلى بيروت لترون وتسمعون عن طموحات الشباب العربي في تلك الفترة، فبعد وصولي إلى هناك والتحاقي بالجامعة الأمريكية انضممت إلى العروة الوثقى، التي يعرف عنها الأستاذ عمر أبو ريشة الكثير. وفي ذات يوم علمت أن دعوة من حكومة العراق ل ٧٠ تلميذاً وتلميذة من المنتمين إلى العروة الوثقى دعوا لزيارة بغداد، لتوثيق عرى القومية العربية والصلات العربية، وقد اخترت كأحد المرشحين للذهاب وكنت أصغرهم سناً، وكان من المرافقين لتلك البعثة الأستاذ الخطيب والدكتور شارل مالك، والأستاذ أنيس المقدسي أستاذ الأدب العربي، والأستاذ قسطنطين دريب وأساطين الدنيا كلها، وأقلتنا ثلاث سيارات تابعة لشركة مشهورة تعمل بين بيروت ودمشق.

- ودخلنا بغداد، في حفلة ومواكب لا نظير لها من القومية العربية، وحال وصولنا أنزلونا بمدرسة ثانوية اسمها "مدرسة الكاظم". وفي مساء ذلك اليوم التقيت بالزميل علي فدعق وكان يدرس بكلية الحقوق. وفي اليوم الثاني من زيارتنا كان يجب علينا أن نذهب إلى الملك غازي للسلام عليه، وقد حددت الساعة التاسعة موعداً لنتحرك لنكون الساعة العاشرة في بلاط الملك غازي. ولكن حدث ما لم يكن في الحسبان، فقبل أن تتحرك البعثة وتقلّها السيارات المعدة لنقلها إلى بلاط الملك ذهب الجميع لتناول طعام الفطور، وهناك تذكرت أنني نسيت آلة التصوير التي أحضرتها لالتقاط بعض الصور التذكارية بها، فأخبرت من معي بأنني سأذهب إلى إحضارها من مقر إقامتنا. وما كدت أتجاوز عتبة الباب حتى التقيت السيد علي مقبلاً وكانت تبدو عليه آثار الحزن والانزعاج، وقال لي: لا ترو عني ما أقول لك. لقد قتل الملك غازي، فقلت له: نحن الآن ذاهبون إليه. هل أنت متأكد مما تقول؟ قال: نعم، وهذا الدليل أمامك وانظر إلى العلم الألماني، وكانت السفارة الألمانية قريبة من المدرسة التي نقيم بها، فإذا به منكس فقلت له: لعل هتلر مات أو غيره؟ قال: لا، لا، إن ابن وزير الداخلية زميلي وقد أخبرني

في الصباح أن والده قضى الليل في التحقيق في مقتل الملك غازي، فضربت أخماساً بأسداس ماذا أعمل؟ هل أنبئ الوفد الذي يتهيأ لمقابلة الملك ويحقق الأمنية الطيبة التي كان ينتظرها؟ أم ألجم لساني بلجام الوعد الذي قطعته للأخ علي بأني لن أنقل عنه خبر مقتل الملك غازي؟ أخيراً قررت لزوم الصمت، وعدت إلى المكان الذي تجمع فيه التلاميذ بانتظار وصول الحافلات التي ستقلّهم إلى القصر الملكي.

- وعندما حان وقت الذهاب إلى القصر لمقابلة الملك توجه الطلاب إلى السيارات وكان يحف بها موكب من الدراجات النارية وكان الدكتور فاضل الجمالي مدير عام التعليم في العراق تلك الأيام هو المسؤول عن البعثة. وقبل أن تتحرك السيارات أقبل جندي يمتطي دراجة نارية وهمس في أذن الدكتور فاضل الجمالي كلاماً قال بعد أن سمعه: لا حول ولا قوة إلا بالله، وأخذ يكررها بصوت مرتفع سمعه كل الطلبة، فأيقنت عندئذٍ أن السر الذي أكتمه افتضح ولم يعد سراً، فقلت لمن حولي لقد قتل الملك غازي. وتساءل التلاميذ الذين معي في الحافلة عن صحة الخبر فقلت لهم: هكذا أخبرني الأخ علي.

- وفي ذلك اليوم خرجت بغداد بأسرها أو كما يقولون عن بكرة أبيها، وصدقنا حينئذٍ ما كنا قرأناه في الأغاني والعقد الفريد، بأنه عند موت أحد الوجهاء أو العلماء أو العظماء تخرج البلاد بأسرها. وتفرق أعضاء الوفد وأخذ كل فرد سبيله. ودفعتني غريزة حب الاستطلاع أن أتوجه مع بعض الزملاء إلى شارع الرشيد فإذا به يموج موجاً، وسمعت أحد المتظاهرين يهتف ويقول: يجب أن تحرق السفارة السعودية فيسأله ثانٍ: لماذا؟ فيرد عليه: لأنها لم تنكس علمها. فما كدت أن أسمع هذه الكلمة حتى بحثت عن سيارة أجرة وأسرعت بها إلى السفارة السعودية، وعندما قابلت السفير وكان يومئذٍ الأستاذ حمزة غيث أخبرته بما سمعت، فقال لي: لا تخف يا بني، فعلمنا يحمل كلمة التوحيد لا إله إلا الله، محمد رسول الله، ولا يمكن أن ينكس لموت أحد مهما يكن، فقد مات السنة الماضية جورج الخامس ملك بريطانيا، ولم ننكس علمنا، والتعليمات التي تلقيناها من وزارة الخارجية تقضي بذلك كما أن لدينا حرساً يستطيعون الدفاع عن مبنى السفارة.

- وفي إحدى الحفلات التي أقيمت لتكريمنا أنشد أحد الطلاب نشيد شبه الجزيرة موطني وبلادي، التي ألقيتها في حفلة التكريم التي أقيمت بمكة احتفاء بالبعثة الكشفية العراقية التي زارت المملكة في موسم الحج، وقد سبق لي أن تحدثت عن ذلك في حفلة تكريم سابقة، وقد قررت وزارة المعارف العراقية بعد عودة البعثة إلى العراق أن تكون تلك القصيدة نصاً أدبياً يدرس بالمدارس الثانوية ويجب حفظه. فعندما وقف الطالب وأنشد تلك القصيدة لم أقل لمن يجلس بجانبي أني صاحب هذه القصيدة بل لزمت الصمت. وفي العروة الوثقى قررنا أن نقيم حفلة، ندعو إليها عدداً من الطلاب العرب من جميع أنحاء البلدان العربية ونطلق عليها مؤتمر الطلاب العرب. وقد بعثت رأساً دعوات لمحمد

سعيد خوجه، وقلت له: أرجوك أن تقنع الرعيل الطيب في المملكة أن يشترك، وبعثت خطاباً آخر للشيخ عبد الوهاب آشي. وما هذا إلا لأعطيكم صورة عن الحماس الذي كان يلتهب بين جوانح الشباب العربي في ذلك الوقت، وحبه للعربية وتطلعه إلى المستقبل العظيم الذي كان يحلم به، ولأرد به على سؤال السائلين عن الظروف التي عاشها الشباب العربي في ذلك الوقت والتي جعلتهم ينصرفون بأحاسيسهم ومشاعرهم تجاه قضيتهم العربية. وفي إحدى الجلسات التي كنا نجتمع فيها لتحضير المؤتمر، قال الدكتور قسطنطين زريق: أنا أريد من كل مندوب أن يعطي فكرة عن بلاده، وعن صادراتها وارداتها، والحياة العلمية والفكرية فيها، فتحدث الإخوة المندوبون، وقد أخذت مكاني مندوباً عن المملكة العربية السعودية، وعندما جاء دوري ووقفت لألقي كلمتي، قال لي فخري الشيخ:

- يا أخي، ما الذي ستقوله عن صادرات الجزيرة العربية؟ لا شيء عندكم فقلت على الفور للسكرتيرة: اكتبي، أما صادرات الحجاز، فالخلفاء والقواد والملوك، ونترك الشعير للعراق، فما أن سمعوا قولي: أما صادرات الحجاز فالخلفاء والقواد والملوك حتى قال لي فخري الشيخ: عفواً أخي عبد الله أنا أمزح، فرددت عليه: لكني لا أمزح.

- هكذا كنا نصدر عن إشعاع كما تشع الأحجار الكريمة بذاتها، وكان المجال هناك مجالاً حماسياً. ومن الذكريات الشبابية أيضاً أنني قرأت في جريدة "الأيام" بأن وفداً كشافياً من النادي العربي بالعراق، سيذهب إلى الحج، فركبت من بيروت وذهبت إلى هناك.

- وسألنا، عن النادي العربي فقيل لنا إنه قريب من البرلمان السوري، فتوجهنا إلى هناك متخذين الترام وسيلة لركوبنا، وما إن وصلنا مقر النادي حتى ولجت وقابلت المسؤولين عن البعثة وقلت لهم: أنا شاب من مكة وقد سمعت أنكم تريدون حج بيت الله الحرام وزيارة الأراضي المقدسة، فأهلاً وسهلاً. فقالوا: نعم سنتوجه بعد ثلاثة أيام، فقلت لهم: هذه خطابات توصية أحدها لمحمد سعيد عبد المقصود أوصيه فيه بالاهتمام بكم، وبقيت معهم حتى ركبوا الباخرة متوجهين إلى الأراضي المقدسة، وقد أحسن الأخ محمد سعيد عبد المقصود ضيافتهم، فأقام لهم في مكة حفلتين، أو ثلاث حفلات تكريم، تلبيةً لتوصيتي التي بعثتها إليه، وهكذا كنا شباباً طموحاً عاملاً محباً لوطنه، وأمته، مخلصاً لدينه، ورسالته، ولغته.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

فيعلق الأستاذ محمد حسين زيدان بقوله:

- كانت القومية العربية مفخرة.

ويختتم الأمسية الأستاذ حسين نجار بقوله:

- والآن فإنا نسأل الله لضيفنا السيد أحمد العربي طول العمر، ونشكر جمعكم على هذا الإصغاء الجيد وهذه المشاركة في الاحتفاء به، ونسأل الله أن يجمعنا مرات ومرات على خير.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.